الفصل السادس

لمحة تاريخية عن علوم القرآن(*)

تعريفه كفنّ ـ موضوعه ـ فائدته ـ تاريخه ـ أشهر ما دُوِّن فيه

لعلوم القرآن تعريفان: (أحدهما) يفيد ـ بمعناه الإضافي ـ العلوم الدينية المُسْتَنْبَطَة من القرآن الكريم. (والثاني) يفيد المباحث المُتَعَلّقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراآته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه.. ونحو ذلك، ممّا يجب على قارىء القرآن معرفته لفهم القرآن فهماً صحيحاً، وهو شبيه «**بعلوم الحديث**» أو «**مصطلح الحديث**» وهو العلم الجامع لشتّى علوم الحديث، والتعريف الثاني هو مقصودنا مِن هذه الدراسة.

أما التعريف الأول ـ بمعناه الإضافي ـ فقد كان شائعاً عند السابقين، ثم نُقِلَ بعد ذلك من المعنى الإضافي وجُعِلَ عَلَماً على الفن المدوَّن، وأصبح مدلوله بعد النقل غير مدلوله قبل النقل.

ونذكر طائفة من أقوال المتقدمين بالتعريف الأول لنستدلّ على مفهومه الذي كان شائعاً لديهم. نقل الزركشي (ت 794 هـ) في «**البرهان**»[1] عن القاضي أبي بكر بن العربي (ت 544 هـ) أنه ذكر في كتابه «**قانون التأويل**»[2]: (إن علوم القرآن خمسون

(*) رجعنا في إعداد هذه الدراسة لكتاب «**مناهل العرفان في علوم القرآن**» للزرقاني، و«**معجم الدراسات القرآنية**» لابتسام الصفار، و«**تاريخ التراث العربي**» لسزكين، و«**معجم مصنفات القرآن**» لعلي شوّاخ، ومقدمتنا «**للبرهان**» للزركشي.

(1) «**البرهان في علوم القرآن**» 1/ 109.

(2) كتاب «**قانون التأويل**» مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 184 – تفسير، ومنه صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم 164 و165 (**بروكلمان 1/ 412 وفهرس معهد المخطوطات** ص: **36**).

علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم، على عدد كَلم القرآن، مضروبة في أربعة. قال بعض السلف: إذْ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحَدٌّ ومَقطَع؛ وهذا مُطلقٌ دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط. وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله ﷻ.

قال: وأمُّ علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد وتذكير وأحكام.

فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والتذكير، ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن.

والأحكام، ومنها التكاليف كلُّها وتبيين المنافع والمضارّ، والأمر والنهي والندب.

فالأول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163]، فيه التوحيد كلّه في الذات والصفات والأفعال.

والثاني: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55].

والثالث: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ [المائدة: 49]؛ ولذلك قيل في معنى قوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِل ثلثَ القرآن. يعني في الأجر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقيل ثلثه في المعنى؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا. وهذه السورة اشتملت على التوحيد.

ولهذا المعنى صارت فاتحةُ الكتاب أمُّ الكتاب؛ لأن فيها الأقسامَ الثلاثة:

فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾. وأما الأحكام فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وأما التذكير فمن قوله: ﴿وَاهْدِنَا﴾ إلى آخرها؛ فصارت بهذا أمًّا؛ لأنه يتفرع عنها كل نبت.

وقيل: صارت أُمّاً لأنها مقدمة على القرآن بالقبلية، والأم قبل البنت.

وقيل: سُمّيت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها.

ونقل عن أبي الحكم بن برجان (ت 627 هـ)[1] أنه قال في كتابه «**الإرشاد**»:

---

(1) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمٰن الإشبيلي الأندلسي، من أئمة التفسير واللغة (ت 627 هـ) «**شذرات الذهب**» 5/ 124، وكتابه «**الإرشاد في تفسير القرآن**» تفسير كبير في مجلدات ذكره حاجي خليفة في «**كشف الظنون**» 1/ 69.

(وجُمْلَةُ القرآن تشتمل على ثلاثة علوم: علم أسماء الله تعالى وصفاته، ثم علم النبوّة وبراهينها، ثم علم التكليف والمحنة).

قال: (وقال غيره: القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم: أمر، ونهي، وخبر واستخبار. وقيل: ستَّة بزيادة الوعد والوعيد).

وقال محمد بن جرير الطبري (ت 311 هـ): (يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والإخبار، والديانات، ولهذا قال ﷺ: «**قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**» وهذه السورة تشمل التوحيد كلَّه).

وقال علي بن عيسى الرُّمَّاني (ت 384 هـ): (القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً: الإعلام والتنبيه، والأمر، والنهي، والوعيد، ووصف الجنّة، والنار، وتعليم الإقرار باسم الله، وصفاته، وأفعاله، وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والردّ على الملحدين، والبيان عن الرغبة والرهبة، الخير والشر، والحسن، والقبيح، ونعت الحكمة، وفضل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفُجَّار، والتسليم، والتحسين، والتوكيد والتفريع، والبيان عن ذم الاخلاف، وشرف الأداء).

قال الزركشي (ت 794 هـ): (قال القاضي أبو المعالي عزيزي (ت 494 هـ)[1]: وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها، فإن القرآن لا يُسْتَدْرك، ولا تُحصى غرائبه وعجائبه، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59].

هذا هو التعريف الذي كان شائعاً عند العلماء لعلوم القرآن، وقد تغيّر مدلوله ـ كما أشرنا سابقاً ـ ليُطْلَق فيما بعد على المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم، وجَمْعِها تحت اسم فن واحد هو: «**علوم القرآن**».

وقد بدأ هذا التعريف بالظهور مع بروز المحاولات الأولى لجمع «علوم القرآن»، حين جمع ابن الجوزي (ت 597 هـ) في كتابه «**فنون الأفنان**» تسعة أنواع منها، وجمع أبو شامة المقدسي (ت 665 هـ) في كتابه «**المرشد الوجيز**» أربعة أنواع، وكان كل علم منها قبل هذا التاريخ يُدوَّن في مُدوَّنات خاصة به، كالتفسير، ومجاز القرآن، وإعرابه،

(1) هو عزيزي بن عبد الملك الفقيه الشافعي المعروف بشيذلة، صاحب كتاب «**البرهان في مشكلات القرآن**» (ت 494 هـ) «**شذرات الذهب**» 3/ 401.

وناسخه ومنسوخه. وجمع الزركشي (ت 794 هـ) في كتابه «**البرهان**» سبعة وأربعين نوعاً، وجمع القاضي جلال الدين، عبد الرحمٰن بن عمر بن رسلان الكناني المصري (ت 824 هـ) في كتابه «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**» خمسين نوعاً[1]. وجمع الحافظ جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) في كتابه «**التحبير في علوم التفسير**» مائة ونوعين[2]، وفي كتابه «**الإتقان في علوم القرآن**» ثمانين نوعاً...

ـ **وموضوعه**، القرآن الكريم في أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف. بخلاف «علوم القرآن» بالمعنى الإضافي. فإن موضوعه هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه.

وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي. فعلم القراءات مثلاً موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه، وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه، وهَلُمَّ جَرًّا.

ـ **وفائدة هذا العلم**، ترجع إلى الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم، وإلى التسلح بالمعارف القيِّمة فيه، استعداداً لحسن الدفاع عن حِمَى الكتاب العزيز، ثم إلى سهولة خوض غمار تفسير القرآن الكريم به كمفتاح للمفسرين، فمثله من هذه الناحية كمثل علوم الحديث بالنسبة لمن أراد أن يدرس علم الحديث.

وقد صرّح السيوطي (ت 911 هـ) بذلك في خطبة كتابه «**الإتقان**» إذ قال: (ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدّمين، إذ لو يُدَوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث) اهـ. وذكر أنه جعله مقدمة لتفسيره الكبير فقال: (وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه وسميته بـ«**مجمع البحرين ومطلع البدرين**»).

وأشار أبو بكر الجزائري في «**التبيان في علوم القرآن**»، إلى ذلك المعنى إذ وضع على طُرَّةِ كتابه الكلمة الآتية: (وهذا هو المقدِّمة الصغرى من مقدمَتَيْ التفسير).

هذا ـ وإنما سُمّي هذا العلم «**علوم القرآن**» ـ بالجمع دون الإفراد ـ للإشارة إلى

---

(1) «**الإتقان**» 1/ 4 – 6.
(2) «**الإتقان**» 1/ 7 – 10.

أنه خلاصة علوم متنوعة، باعتبار أن مباحثه المدوّنة تتصل اتصالاً وثيقاً بالعلوم الدينية والعلوم العربية، حتى إنك لتجد كل مبحث منها خليقاً أن يُسْلك في عِداد مسائل علم من تلك العلوم.

فنسبته إليها كنسبة الفرع إلى أصوله، أو الدليل إلى مدلوله. وما أشبهه بباقة منسَّقة من الورود والياسمين، إزاء بستان حافل بألوان الزهور والرياحين.

تاريخ «علوم القرآن»، نشأته وتطوره

كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعرفون عن القرآن وعلومه، ما عرف العلماء وفوق ما عرف العلماء من بعد، ولكن معارفهم لم توضع على ذلك العهد كفنون مدوَّنة، ولم تجمع في كتب مؤلفة، لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف.

أما الرسول ﷺ فلأنه كان يتلقَّى الوحي عن الله وحده. والله تعالى كتب على نفسه الرحمة، ليجمعنَّه له في صدره، وليطلقنَّ لسانه بقراءته وترتيله، وليميطنَّ له اللثام عن معانيه وأسراره. اقرأ إن شئت قوله سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: 16-19].

ثم بلَّغ الرسول ما أنزل عليه لأصحابه، وقرأه على الناس ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على مُكْثٍ أي على مَهل وتُؤدة، ليحسنوا أخذه، ويحفظوا لفظه، ويفهموا سرَّه. ثم شرح الرسول لهم القرآن بقوله، وبعمله، وبتقريره، وبخلقه، أي بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]. ولكن الصحابة وقتئذ كانوا عرباً خُلَّصاً، متمتعين بجميع خصائص العروبة ومزاياها الكاملة من قوَّة في الحافظة، وذكاء في القريحة، وتذوُّق للبيان؛ وتقدير للأساليب، ووزن لما يسمعون بأدق المعايير، حتى أدركوا من علوم القرآن ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم، ما لا نستطيع نحن أن ندركه مع زَحْمة العلوم، وكثرة الفنون.

وكان أكثر الصحابة أُمِّيين، ولم تكن أدوات الكتابة مُتيسِّرة لديهم، فكان ذلك حائلاً أيضاً دون التأليف في هذا العلم. زِدْ على ذلك أن رسول الله ﷺ نفسه قد نهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن، وقال لهم أول العهد بنزول الوحي: **«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحهُ. وحدِّثُوا عني ولا حرج. ومَنْ كَذَبَ علَيَّ متعمداً**

فليتبوأ مقعده في النار»[1]. وكان ذلك مخافة أن يختلط القرآن بما ليس منه.

ولقد ظلّت علوم القرآن تُرْوَى بالتلقين والمُشافَهة على عهد رسول الله ﷺ ثم على عهد الشيخين أبي بكر وعمر. وفي خلافة عثمان بدأ اختلاط العرب بالأعاجم، وأمر عثمان أن يجتمعوا على مصحف إمام وأن تنسخ منه مصاحف للأمصار، وأن يحرق الناس كل ما عداها. وسنرى تفصيل ذلك والأسباب الداعية إليه.

ويعنينا الآن أن الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه (ت 34 هـ) بنَسْخ المصاحف قد وضع الأساس لما سُمِّيَ فيما بعد «**بعلم رسم القرآن**» أو «**علم الرسم العثماني**».

وقد اشتهر أيضاً أن علياً رضي الله عنه (ت 40 هـ) أمر أبا الأسود الدؤلي[2] (المتوفى سنة 69هـ) بوضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية. فكان عليٌّ بذلك **واضع الأساس لعلم «إعراب القرآن»**.

وفي وسعنا أن نقول: إن الممهِّدين لهذا العلم هم:

1 ـ الخلفاء الأربعة، وابن عباس (ت 68 هـ)، وابن مسعود (ت 32 هـ)، وزيد ابن ثابت (ت 45 هـ)، وأبي بن كعب (ت 21 هـ)، وأبو موسى الأشعري (ت 44 هـ)، وعبد الله بن الزبير[3] (ت 73 هـ) من الصحابة.

2 ـ مجاهد (ت 104 هـ)، وعطاء بن يسار (ت 94 هـ)، وعِكْرِمة (ت 105 هـ) وقتادة (ت 118 هـ)، والحسن البَصْري (ت 110 هـ)، وسعيد بن جُبَيْر (ت 95 هـ)، وزَيد بن أسْلَم (ت 136 هـ)، في المدينة، من التابعين.

3 ـ مالك بن أنس (ت 179 هـ)، من أتباع التابعين، وقد أخذ عن زيد بن أسلم (ت 136 هـ).

هؤلاء هم الواضعون لما نُسَمّيه «**علم التفسير**»، و«**علم أسباب النزول**»، و«**علم المكي والمدني**»، و«**علم الناسخ والمنسوخ**»، و«**علم غريب القرآن**».

---

(1) رواه مسلم في «**صحيحه**» 8/ 229، عن أبي سعيد الخدري.
(2) انظر ترجمته في «**إنباه الرواة**» 1/ 13 – 23، و«**تهذيب التهذيب**» 12/ 10 – 12.
(3) راجع **الفهرست** 33.

وفي عصر التدوين مع مطلع القرن الثاني الهجري، كان «**التفسير**» قبل كل شيء، لأنه أمّ العلوم القرآنية ومِمَّن اشتغل فيه وصنّف:

من علماء القرن الثاني: شُعبة بن الحجاج (ت 160 هـ)[1]، وسفيان بن عُيَيْنة (ت198هـ)[2]، ووكيع بن الجراح (ت 197 هـ)[3]. وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين. ثم تلاهم ابن جرير الطبري المتوفى سنة (310هـ.) وتفسيره هو أجلّ التفاسير، لما اشتمل عليه من روايات صحيحة محررة وإعراب واستنباط وآراء قيمة.

ونشأ التفسير بالرأي إلى جانب التفسير بالمأثور، وفسر القرآن كلّه وجزء منه وسورة وأحياناً آية أو آيات خاصة كآيات الأحكام.

أما علوم القرآن الأخرى فقد ألّف:

في القرن الثالث: عليّ بن المديني (ت 234 هـ)[4]، شيخ البخاري (ت 256 هـ)، في **أسباب النزول**، وأبو عُبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، في **الناسخ والمنسوخ**، وفي القراءات، وفضائل القرآن، ومحمد بن أيوب الضريس (ت 294 هـ) **فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة**[5]، ومحمد بن خلف بن المرزبان (ت 309 هـ): «**الحاوي في علوم القرآن**»[6].

وفي القرن الرابع: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ) «**عجائب علوم**

---

(1) هو محدث البصرة، وأمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي، ويكنى أبا بسطام، رأى أنس بن مالك ﷺ، وسمع أربع مئة من التابعين، وهو حجة عند جميع الأئمة، توفي سنة 160هـ.

(2) هو شيخ أهل الحجاز في التفسير والحديث، سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي، توفي سنة 198هـ – انظر «**تذكرة الحفاظ**» 1/ 242).

(3) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، ويكنى أبا سفيان الرؤاسي الكوفي، من قيس عيلان. سمع ابن جريج والأعمش والأوزاعي وسفيان الثوري، وروى عنه: عبد الله بن المبارك، ويحيى بن آدم، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ولد سنة 128 وتوفي سنة 197. وفيه يقول أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: الثبت عندنا في العراق وكيع – انظر «**تاريخ بغداد**» 13/ 466 – 481).

(4) هو علي بن عبد الله بن جعفر، ويكنى أبا جعفر، وهو سعدي بالولاء، توفي سنة 234 – انظر «**تذكرة الحفاظ**» 2/ 15 – 16 و«**شذرات الذهب**» 2/ 81).

(5) واسم كتابه «**فضائل القرآن**» ومنه نسخة ناقصة بالظاهرية.

(6) ذكره في **الفهرست** 214 ويقع في 27 جزءاً.

القرآن»، تكلم فيه على فضائل القرآن، ونزوله على سبعة أحرف، وكتابة المصاحف، وعدد السور والآيات والكلمات[1]، وأبو الحسن الأشعري (ت 324 هـ) «**المختزن في علوم القرآن**» وهو عظيم جداً[2]، وأبو بكر السجستاني (ت 330 هـ)[3] في «**غريب القرآن**»، وأبو محمد القصاب محمد بن علي الكرخي (ت نحو 360) «**نكت القرآن الدالة على البيان، في أنواع العلوم والأحكام المُنبِئَةِ عن اختلاف الأنام**»[4]، ومحمد بن علي الأدفوي (ت 388 هـ) «**الاستغناء**[5] **في علوم القرآن**»، في عشرين مجلداً.

وفي القرن الخامس: علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت 430 هـ)[6] «**البرهان في علوم القرآن**»، و«**إعراب القرآن**». وأبو عمرو الداني (ت 444 هـ) «**التيسير في القراءات السبع**» و«**المحكم في النقط**».

وفي القرن السادس: أبو القاسم عبد الرحمٰن المعروف بالسُهَيْلِي (ت 581 هـ)[7] في «**مبهمات القرآن**».

وفي القرن السابع: ابن عبد السلام (ت 660 هـ)[8] في «**مجاز القرآن**». وعَلم

---

(1) منه نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية.

(2) انظر **الديباج** 195.

(3) هو محمد بن عزيز بن العزيزي السجستاني، توفي سنة 330 (**بغية الوعاة** 72) قال السيوطي في «**الإتقان**» 1/ 195، عند ذكر كتاب السجستاني المسمى «**غريب القرآن**»: أقام في تأليفه خمس عشر سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري. وقد طُبع بتحقيقنا في دار المعرفة، ببيروت عام 1409 هـ.

(4) منه نسخة في مراد ملا.

(5) هكذا فضلنا قراءة الاسم، وإن كان يمكن قراءته في المخطوط أيضاً (الاستفتاء).

(6) هو علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المصري، صاحب كتاب «**البرهان في علوم القرآن**»، وكتاب «**إعراب القرآن**». توفي سنة 430 (**حسن المحاضرة** 2/ 228، **إنباه الرواة** 2/ 219) وسيرد ذكر كتابه (**البرهان**) الذي لا يزال مخطوطاً.

(7) هو عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، ويكنى أبا القاسم، توفي بمراكش سنة 581، وكتابه «**مبهمات القرآن**» يذكره صاحب **كشف الظنون** باسم «**التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام**». وهذا الاسم الواضح بين الغاية منه، وفي دار الكتب بالقاهرة وفي المكتبة التيمورية نسخ خطية منه. وللسهيلي أيضاً كتاب **الروض الأنف على سيرة ابن هشام** – انظر ترجمته في **إنباه الرواة** 2/ 162).

(8) هو شيخ الإسلام الإمام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام، المشهور بالعز، توفي سنة 660 (**طبقات الشافعية** 5/ 80 – 107 «**شذرات الذهب**» 5/ 310).

obeikandl.com

الدين السخاوي (ت 643 هـ)[1] في القراءات.

ثم نشأت علوم جديدة في القرآن: بدائع القرآن[2]، حُجَج القرآن[3]، أقسام القرآن[4]، أمثال القرآن[5].

وكانت طريقتهم استقصاء جزئيات القرآن: لذلك وجب اختصار تلك العلوم في علم جديد موحد سمّوه «علوم القرآن».

وفي «**تاريخ الشافعي**» (ت 204 هـ) رضي الله عنه في محنته التي اتُّهِمَ فيها بأنه رئيس حزب العَلَويِّين باليمن، سِيقَ مُكبَّلاً بالحديد إلى الرشيد في بغداد، فسأله الرشيد: كيف عِلْمُكَ يا شافعي بكتاب الله عز وجل ؟ فإنه أوْلَى الأشياء أن يُبْتَدَأ به. فقال الشافعي: عَنْ أيِّ كتابٍ مِنْ كُتُبِ الله تسألني يا أمير المؤمنين؟ فإن الله قد أنزل كتباً كثيرة. قال الرشيد: قد أحسنت، لكن إنما سألتُ عن كتاب الله المُنزل على ابن عمي محمد ﷺ. فقال الشافعيُ: إنَّ علوم القرآن كثيرة، فهل تسألني عن مُحكمه ومتشابهه؟ أو عن تقديمه وتأخيره؟ أو عن ناسخه ومنسوخه؟ أو عن أو عن[6]...

---

(1) هو علي بن محمد بن عبد الصمد المشهور بالسخاوي، توفي سنة 643 هـ، وله في القراءات منظومة تعرف بالسخاوية، وتسمى «**هداية المرتاب في المتشابه**» ولا يريد بالمتشابه ما يقابل المحكم، وإنما إيراد القصة الواحدة في القرآن في صور شتى وفواصل مختلفة، تصرفاً في الكلام ليجيء على أساليب متنوعة. انظر ترجمة السخاوي في **وفيات الأعيان** 1/ 345 وانظر «**البرهان**» 1/ 112 النوع الخامس «**علم المتشابه**».

(2) وهو علم يبحث فيه عما ورد في القرآن من أنواع البديع، وقد أفرده بالتصنيف ابن أبي الإصبع، وكتابه مطبوع – انظر **الإتقان** 2/ 140 – 160، النوع الثامن والخمسون).

(3) يسمى أيضاً علم جدل القرآن، ويراد منه أن كتاب الله نطق بجميع أنواع البراهين والأدلة، ولكن على أساليب العرب لا طرائق المتكلمين. وقد أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفي (سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم) المتوفى سنة 716 كما في «**الدرر الكامنة**» 2/ 354 وفيما يتعلق بهذا العلم انظر «**الإتقان**» 2/ 229 – 233، (النوع الثامن والستون) و«**البرهان**» 2/ 24 – 27، (النوع الثالث والثلاثون).

(4) انظر «**الإتقان**» 2/ 225 – 228 (النوع السابع والستون) وقد أفرده بالتصنيف العلامة ابن القيم. ومن المتأخرين عبد الحميد الفراهي في كتابه «**إمعان في أقسام القرآن**».

(5) انظر بعض الشواهد على هذا العلم في «**الإتقان**» 2/ 222 – 225 (النوع السادس والستون).

(6) ذكر ذلك الإمام جلال الدين البلقيني في كتابه «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**». انظر «**مناهل العرفان**» للزرقاني 1/ 26.

ويرى بعض الباحثين[1] أن اصطلاح (علوم القرآن) ـ بالمعنى الجامع الشامل ـ لم يبدأ ظهوره إلا بكتاب «**البرهان في علوم القرآن**» لعلي بن إبراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي (ت 430هـ)، ويقع في 30 مجلداً، حفظ منها 15 غير مرتبة ولا متعاقبة في نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة برقم 59 تفسير. فقد اشتمل هذا الكتاب على بعض علوم القرآن مع أنه في الظاهر تفسير: ففيه يقول صاحب **كشف الظنون**: (ذكر فيه الغريب والإعراب والتفسير). ولكننا نبهنا آنفاً إلى ظهور كتب عالجت الدراسات القرآنية باسمها الصريح (علوم القرآن)، وكان أسبقها في نظرنا كتاب ابن المَرْزُبَان (ت 309 هـ) في القرن الثالث.

وفي القرن السادس: ألّف ابن الجوزي (ت 597 هـ) كتابين أحدهما «**فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن**»[2] والثاني «**المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن**» وهما مخطوطان في دار الكتب بالقاهرة.

وفي القرن السابع: صنّف علم الدين السخاوي (ت 643 هـ) كتابه «**جمال القراء وكمال الإقراء**»[3] وأبو شامة (ت 665 هـ) «**المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز**».

وفي القرن الثامن: ألف بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ)[4] «**البرهان في علوم القرآن**». وقد نشره الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وبذل في تحقيقه جهداً مشكوراً، وأعدتُ نشره بطبعة كاملة قيمة تشتمل على ما أُلف في كل علم.

وفي القرن التاسع: كثر التأليف، فصنف جلال الدين البلقيني (ت 824 هـ)[5]

---

(1) نفسه 1/ 26.

(2) وفي المكتبة التيمورية مخطوطة غير كاملة من فنون الأفنان برقم 222 تفسير.

(3) ويفهم من «**كشف الظنون**» أن كتاب «**جمال القراء وكمال الإقراء**» يشتمل على علوم القراءات والتجويد والوقف والابتداء والناسخ والمنسوخ.

(4) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، من أعلام المفسرين والأصوليين. ولد سنة 745 وتوفي سنة 794 – انظر ترجمته ومصادرها في مقدمة كتابه «**البرهان في علوم القرآن**» الذي حققته، وقد صدر في أربعة أجزاء عن دار المعرفة 1409هـ / 1989م.

(5) هو عبد الرحمٰن بن رسلان، أبو الفضل جلال الدين البلقيني، برع في الفقه والأصول والعربية والتفسير والمعاني والبيان، وله تعليق على البخاري سماه «**الإفهام**» **لما في صحيح البخاري من الإبهام**، وولي القضاء بالديار المصرية مراراً إلى أن توفي سنة 824هـ «**شذرات الذهب**» 7/ 166.

obeikandl.com

كتابه «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**»[1] وصنف محمد بن سليمان الكافيجي (ت 879هـ)[2] كتاباً ذكره السيوطي، ونقل عن مؤلفه أنه قال فيه: «**لم يسبق إليه**»[3]، سمّاه: «**التيسير في قواعد التفسير**». ثم ألف السيوطي (ت 911 هـ) كتابه «**التحبير في علوم التفسير**» وأتبعه «**بالإتقان في علوم القرآن**»[4].

وفي القرن الأخير: أقبل كثير من العلماء على تصنيف الكتب حول القرآن وتاريخه وعلومه، فألف الشيخ طاهر الجزائري (ت 1338 هـ) «**التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**» والشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ت 1332 هـ) «**محاسن التأويل**» والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367 هـ) «**مناهل العرفان في علوم القرآن**» والشيخ محمد علي سلامة (ت 1362 هـ) «**منهج الفرقان في علوم القرآن**» والشيخ طنطاوي جوهري (ت 1358 هـ) «**الجواهر في تفسير القرآن الكريم**» وأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي (ت 1356 هـ) «**إعجاز القرآن**» والأستاذ سيد قُطب (ت 1387 هـ) «**التصوير الفني في القرآن**» و«**في ظلال القرآن**»، والأستاذ مالك بن نبي (ت 1393 هـ) «**الظاهرة القرآنية**» وهو بحث قيّم جداً في مسألة الوحي، وفيه مباحث كثيرة في علوم القرآن، والدكتور محمد عبد الله دراز (ت 1377 هـ) «**النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن**»...

وظهرت في السنوات الأخيرة أيضاً دراسات قرآنية كثيرة جداً ومفيدة يقصد بها التوجيه الديني العام ككتاب «**نظرات في القرآن**» للأستاذ محمد الغزالي (ت 1396 هـ)،

---

(1) «**الإتقان**» 1/ 3.

(2) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود، محيي الدين أبو عبد الله الكافيجي، اشتغل كثيراً بـ«**الكافية**» في النحو فعُرِف بها. لازمه السيوطي 14 سنة، وله كتب كثيرة في التفسير والفقه وأصول اللغة والنحو. أما كتابه الذي لم يسمه السيوطي في الإتقان فقد سماه في البغية «**التيسير في قواعد التفسير**» وقال عنه: وكان يقول: إنه ابتدع هذا العلم ولم يسبق إليه، وذلك لأن الشيخ لم يقف على «**البرهان**» للزركشي ولا على «**مواقع العلوم**» للجلال البلقيني. توفي سنة 879 – انظر «**بغية الوعاة**» 48).

(3) «**الإتقان**» 1/ 3 وقال السيوطي فيه: «رأيته تأليفاً لطيفاً، ومجموعاً ظريفاً، ذا ترتيب وتقرير».

(4) وقد طبع كتاب «**الإتقان**» مراراً في القاهرة. والسيوطي بنى أكثر كتابه على «**البرهان**» **للزركشي**، ونقل عدداً من فصوله، مشيراً إلى ذلك تارة، وساكتاً عنه تارة أخرى. وانظر ما يقوله السيوطي عن «**البرهان**» في مقدمة «**الإتقان**» 1/ 6 – 8.

أو التوجيه الأدبي وإبراز مواطن الجمال في الأسلوب القرآني ككتاب «**المنهل الخالد**» للأستاذ محمد المبارك (ت 1402 هـ) عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق، وغيرها. . .

obeikandl.com